د. خالدية جاب الله

محاضرات في مقياس : النص الأدبي المعاصر

السنة الثانية ليسانس

الفوجان : 3 و 11

نزار قباني (1923– 1998)

نزار قباني[1] واحد من كبار الشعراء المعاصرين، وهو شاعر المرأة بامتياز شديد؛ فقد أجمع الدارسون على أنّه خَدَم قضية المرأة كما لم يخدمْها أيّ مفكر أو باحث اجتماعي، بل إنّه "صنع للمرأة أكثر ممّا صَنَع بها"[2] (كما قال محمود درويش).

لعلّه كان يفعل ذلك انتقاما لاشعوريا لأخته وصال التي انتحرت سنة 1938 لأنّها أجبرت على الزواج ممّن لا تحبّ. ويعترف نزار في (قصتي مع الشعر) بأنّ كتاباته عن الحب كانت تعويضا لما حُرمت منه أخته، وانتقاما لها من مجتمع يرفض الحب ويطارده بالفؤوس والبنادق[3].

يقول في قصيدة (رسالة إلى رجل ما)[4] :

يا سيدي العزيز

هذا خطاب امرأة حمقاء

---

[1] من مواليد دمشق سنة 1923، خريج كلية الحقوق سنة 1944، اشتغل في السلك الدبلوماسي سفيرا لبلاده منذ 1945، في عواصم عالمية مختلفة (القاهرة، بكين، أنقرة، لندن،...) حتى تقاعد سنة 1966، ثمّ أسّس دارا للنشر (منشورات نزار قباني) في بيروت.

من دواوينه : (قالت لي السمراء) 1944، (طفولة نهد) 1948، (سامبا) 1949، (أنتِ لي) 1950، ...، (أحبك.. أحبك والبقية تأتي) 1978، (قصائد مغضوب عليها) 1986، (هوامش على دفتر النكسة) 1991، (أنا رجل واحد وأنت قبيلة من النساء) 1993،...

وله كتب نثرية أخرى كـ : (قصتي مع الشعر)، (الشعر قنديل أخضر)، (عن الشعر والجنس والثورة)، (المرأة في شعري وفي حياتي). تجاوز عدد كتبه الأربعين كتابا.

للتفصيل يُراجع :

– معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، المجلد الخامس، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط2، 2002، ص 528.

– ميشال خليل جحا : شعراء أعلام من المشرق العربي، دار صادر ودار نلسن للنشر، ط1، بيروت، 2013، ص 408.

[2] محمود درويش : افتتاحية مجلة (الكرمل)، العدد 53، 1997.

[3] نزار قباني : قصتي مع الشعر– سيرة ذاتية، منشورات نزار قباني، بيروت، ط9، 2000، ص 72.

[4] نزار قباني : الأعمال الشعرية الكاملة (1–3)، منشورات نزار قباني، بيروت، ط14، د.ت، ص 277.

هل كتَبت إليك قبلي امرأة حمقاء ؟

اسمي أنا ؟ دعنا من الأسماء

رانية .. أم زينب ؟

أم هند ؟ أم هيفاء؟

أسخف ما نحمل –يا سيدي– الأسماء..

انتقل نزار من موضوع المرأة إلى الموضوع السياسي ابتداءً من نكسة حزيران 1967، التي حوّلته "من شاعر يكتب شعر الحب والحنين إلى شاعر يكتب بالسكين"، كما قال.

ولعلّ قصيدته الشهيرة (هوامش على دفتر النكسة)[1] خير مثال لهذا التوجّه الشعري، يقول :

أنعي لكم ، يا أصدقائي ، اللغة القديمة

والكتب القديمة

أنعي لكم : كلامنا المثقوب كالأحذية القديمة

أنعي لكم

أنعي لكم

نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة

يا وطني الحزين

حوّلتني بلحظة

من شاعر يكتب شعر الحب والحنين

لشاعر يكتبُ بالسّكين

أمّا من الناحية الفنية فقد تميّز نزار تميّزا لافتا بلغته الشعرية السهلة الممتنعة؛ إذ نقل اللغة من رصانتها النخبوية المتعالية إلى لغة الحياة اليومية العصرية التي في وسْعها أنْ تعبّر عن البسيط والعادي والمألوف من الحياة والشعور والسياسة، حتى صار كما يقول محمود درويش "ظاهرة شعبية في الشعر العربي المعاصر الذي أنزله من أبراج النّخبة وليالي الإلهام إلى متناول الأيدي، كالخبز، والورد، حتى كاد أن يكون شاعر الجميع"[2].

---

[1] **نفسه، ص 698.**

[2] **محمود درويش، المرجع السابق.**

لقد استطاع نزار قباني أن "يُبسّط لغة الشعر، بحيث جاءت لغته وسطا بين الفصحى والعامية، هي لغة ثالثة كلغة الجرائد. أدخل فيها الكلام اليومي العفوي والمباشر، أدخل فيها تعابير لم تدخل حرم الشعر قبله ..."[1].

كما يتميّز شعره بصوره الفنية الجديدة ووضوحه وبساطته وعمقه معا؛ بحيث يدقّ القلوب ويتغلغل في الأحاسيس دونما حاجة إلى قاموس أو مترجم أو طول تأمّل؛ حيث نجده أبدع إبداعا لافتا في ديوانه (كتاب الحب)[2]، يقول:

حبّك يا عميقة العينين

تطرّف

تصوّف

عبادة

حبّك مثل الموت والولادة

صعب أن يُعاد مرّتين

كتب نزار القصيدة العمودية، وقصيدة التفعيلة، كما جرّب كتابة قصيدة النثر في ديوانه (مئة رسالة حب)، وكتب القصائد الطويلة، كما كتب القصيدة القصيرة (قصيدة التوقيعة) في ديوانه (كتاب الحب) الذي كان "محاولة لكتابة القصيدة العربية بشكل جديد، وإلباسها ثوبا عصريا ومريحا وعمليا، بعد أن أرهق جسد القصيدة العربية طوال عصور بأثواب مفرطة في طولها واتّساعها ورداءة قصّها"[3].

ومن نماذج تلك التوقيعات القصيرة قوله[4] :

لا تقلقي يا حلوة الحلوات

ما دمت في شعري وفي كلماتي

قد تكبرين مع السنين وإنما

لن تكبري أبدا على صفحاتي

---

[1] **ميشال خليل جحا : شعراء أعلام من المشرق العربي، ص 413.**

[2] **الأعمال الشعرية الكاملة، ص351.**

[3] **نزار قباني : كتاب الحب، نوفل/ هاشيت أنطوان، بيروت، 2015، ص 7.**

[4] نفسه، ص 91.